

مُعْجِزَةُ الرَّسُولِ الْخَالِدَةِ

إعداد

نوفيق محمد نصيري

عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة

مقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه
البيان، والصلاة والسلام على نبي الإنس والجان، المبعوث
بالرحمة والقرآن، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.
وبعد..

لقد أرسل الله عبده ونبيه محمد بن عبد الله ﷺ بالحق بشيراً
ونذيراً، وأيده بمعجزات عجز عن الإتيان بها أحد من الخلق،
وأبرز هذه المعجزات وأعظمها على الإطلاق هو القرآن الكريم،
فما تحداه أحد إلا هزمته آياته، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أخي الكريم!

حين يكون الحديث عن القرآن فإن الكلمات تتوه،

والعبارات تضييع، فإن العظمة في كلماته، والعزة في عباراته، والسيادة في آياته، والبلاغة كل البلاغة في كبير سوره وصغيرها، وفي طويل آياته وقصيرها.

القرآن مأل من لا مال له، وعشيرة من لا عشيرة له، وذخر من لا ذخرك له، وكنز من لا كنز له.. هو السلوة في الغربية، والأنيس في الوحشة، والعزاء عن كل أحد، والجلاء لكل ريب، والشفاء لكل مرض، والدواء لكل داء.. سمير وأنيس، صاحب وجليس.. تلاوته أجر، وحروفه حسنة، ومطالعتة بركات، وتدبره رحمة، والعمل به نجاه، والتحاكم إليه فلاح، والرضا به سعادة، والاستغناء به ثروة، ومصاحبته غنيمه.. شافع مشفع، وصاحب حجة مقبول، وناصح أمين، ورفيق موافق، ومحدث ممتع.. هدى لا ضلالة بعده، ونور لا ظلمة فيه، وشفاء لا سقم عنده.. يؤنسك في القبر، يحفظك في الحشر، يُنجيك على الصراط، يُوصلك الجنة، يبعدك عن النار، يحميك من غضب

الجَبَّار.. يُذْهِبْ هَمَّكَ، يَجْلُو غَمَّكَ، يُزِيلْ تَعَبَكَ، يَطْرُدْ نَصَبَكَ،
يُشْرِحْ صَدْرَكَ، يَرْفَعْ ذِكْرَكَ، يُعَلِّيْ قَدْرَكَ..

والقرآن رسالة السماء إلى الأرض وخاتم الكتب، ومعجزة
النبوة، وأعجوبة الدهر، ونبأ الغيب، وحديث الآخرة.. صدق
في الخبر، عدل في الحُكْم، وسط في الطريقة، صحّة في المثل،
إعجاز في القول، حُسن في الحديث، جمال في السَّبْك، قوّة في
الحجة، إشراق في البيان، سداد في النّصح ﴿ كَتَبْتُ أَحْكَمَتَ آيَاتِهِ، ثُمَّ
فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١]، وهو المعجزة الخالدة، والمجد
الباقى، والشرف المنيف ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ وَيَبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:٩].

وفي هذه الرسالة بيان لفضله، وتأکید سلامته من أي
تحريف أو زلل قد يطرأ على أي كتاب من كتب الدنيا.

القرآن .. فضائل وشمائل

إن القرآن الكريم كثيرة شمائله، غزيرة فضائله، جمّة معارفه، وفيرة محاسنه، لا يحصيها -ولو اجتهد- مُحصٍ، ولا يعدّها عادّ، وكلها في كتاب الله مذكورة وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام مثبتة منشورة.

فالقرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو الدستور الأساسي للمنهج الرباني، وهو العاصم من الزيغ، والنور المبين، والهدى على الطريق القويم والصرّاط المستقيم، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥). وفي وصية للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري قال: «عليك بتلاوة القرآن فإنه نورٌ لك في الأرض، وذخر لك في السماء» (١).

(١) رواه ابن حبان: وقال العلامة الألباني: حسن لغيره في صحيح الترغيب.

وها هو الرسول النبي الأمين عليه صلاة الله وسلامه يتحدث عن شمائل الكتاب العظيم فيقول: «القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»^(١).

فالقرآن شفيع صاحبه يوم القيامة، قال ﷺ: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢).

القرآن قوة لمن يتلوه ويتدبره، وعزة لمن يدعو إليه ويبلغه، ورفعة في الدنيا والآخرة. قال ﷺ مؤكداً ذلك: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين»^(٣).

القرآن الكريم مناط التكليف الرباني لعباد الله أجمعين، ومعقد الحجة الشرعية على الناس أجمعين.. وهذا ما يفرض على قارئ القرآن أن يدرك أنه معنيٌّ بما يريد فيه من أوامر ونواهٍ

(١) رواه الطبراني وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

وتكاليف وأحكام. وهذا ما جعل والد الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال، رحمه الله، يقول لابنه كلما رآه يتلو كتاب الله: «اقرأ القرآن وكأنه عليك ينزل».

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٧] ومن غزارة كرمه أنه فياض بالعلم والعمل فكل آية إن متى ما تأملها الإنسان بعمق لمس بل وذاق من معانيها ما لا يستطيع التعبير عنه أحياناً..

﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ﴾ [البينة: ٢]؛ الصحف المطهرة التي لا يأتيها الباطل لا من بين يديها ولا من خلفها.. صحف فاصلة بين الحق والهزل.

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٧] يغيرك كلك إن التصقت به: يغير فكري من الغموض للوضوح، ومن الظلام للنور، ومن الجهل إلى الوعي وبحور العلوم.. ويغير قلبك من القسوة إلى اللين، ومن الجفاء إلى الحلم، ومن الكدر إلى الصفاء، ومن اللوم والقلق والحزن إلى الطمأنينة.. ويغير روحك من الكثافة للطف والشفافية، ومن الخبث إلى الطيبوبة.. بل ويغير حتى جسمك

من الضعف للقوة.. فيغيرك بالتالي كلك قلبا وقالبا معنى ومادة
إذ يغير كل حياتك من حياة عابثة: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]، إلى حياة موجهة نحو
الرجوع لمأواك الخالد وحياتك الحققة السرمدية.. إنه كتاب يهدي
لسعادات الدنيا والخالدة.

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾
[الشورى: ٥٢] إنه الروح ولا حياة دون روح.. وإنه النور ولا بصيرة
دون نور.. وإنه الهدى الذي لا فلاح دونه.. وإنه الكتاب الفياض
بالعلوم.. والإيمان الفياض بالمعارف..

مدحه في صفحاته، ونوره ساطع من بين آياته، وهدهد منبثق
من بين جملة وآياته، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة.. قلت: وما المخرج

منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله.. فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم.. هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم.. هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.. هو الذي لم تنته الجن إذ سمعت به حتى قالت ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١-٢].

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم^(١).
القرآن حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي صراط مستقيم، ومن تركه من جبار قصمه الله،

(١) رواه الترمذي (٢٩٠٦).

ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.

إنه كتاب الله: كتاب تاريخ منذ العصور الغابرة، وكتاب مستقبلات بمعنى الكلمة، ودستور كامل للحكم، وكتاب الحقائق البينة، الظالم والمتجبر من هجره، وكتاب هدى، كتاب وصل بين الخلق بالخالق، وكتاب نور وبصائر وبيانات، وكتاب ذكر وحكمة، وكتاب استقامة، وكتاب فاصل، وكتاب علوم، وكتاب أنس وتقوى، وكتاب غزير عجيب فياض، وهو كتاب حتى للجن، وكتاب هداية ورشد، وكتاب الإيمان، وكتاب ربوبية وتوحيد، كتاب صدق وتصديق وصديقية، وكتاب حكم وعدل، وكتاب عمل وأجر، وكتاب دعوة واستقامة وتثبيت..
وعندما يعلم المسلم هذه الفضائل ويدرك هذه الشمائل، فإنه يسارع إلى حفظه وتحصيله والحرص على تعظيمه وتنزيهه.

هنياً لك .. قارئ القرآن

ومما يدل على فضله: الترغيب والحث على قراءة القرآن وإقراءه، وما في ذلك من الثواب العظيم، والدرجة الرفيعة لحامله، فقد وردت بذلك أحاديث كثيرة صحيحة عن النبي ﷺ.

أترجة.. تمرة.. ريحانة..

وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن سبب كل طيب هو القرآن:

روى الشيخان - واللفظ للبخاري - من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر

الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها»^(١).

خيرية.. ليست إلا لأهل القرآن

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢)، وأن يمشي الإنسان على الأرض وهو من خير أهلها إنه لفضل عظيم.

لا حسد.. إلا في القرآن

الحسد منبوذ مذموم، إلا إذا كان لصاحب الكتاب العظيم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل،

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (فضل القرآن على سائر الكلام) (٩ / ٦٥، ٦٦)، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب (فضيلة صاحب القرآن) (٩ / ٧٣).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (٩ / ٧٤).

ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار»^(١).

سكينة.. رحمة.. ذكر في الملائكة

كل هذه الجوائز والعطايا ليست لأحد إلا للذاكرين لله، فعن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكروهم الله فيمن عنده».

وروي أيضاً عن النبي ﷺ قال: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت في فضل

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (اغتباط صاحب القرآن) (٧٣ / ٩).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن) (١٧ / ٢١، ٢٢)، وكتاب صلاة المسافرين، باب (فضل قراءة القرآن وسورة البقرة) (٦ / ٨٩، ٩٠).

القرآن وأهله، وبيان ثواب قراءته مما كان حافزاً كبيراً للمسلمين على أن يتسابقوا إلى قراءة القرآن وحفظه حتى يفوزوا بهذه الدرجات الرفيعة والثواب العظيم الذي أُعدَّ لحامل القرآن الكريم، فيحفظونه في الصدور والسطور عن كل تحريف.

حفظاً.. لا نسياناً يطرأ

كما جاءت أحاديث كثيرة أيضاً في الحرض على استذكار القرآن وتعاهده حتى لا يتعرض إلى النسيان وكل ذلك مما يدعو إلى الحرص على حفظه، فمن ذلك:

ما رواه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة؛ إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»^(١).

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (استذكار القرآن وتعاهده) (٧٩ / ٩)، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده (٧٥ - ٧٧).

وروي أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت؛ بل نُسي، واستذكروا القرآن؛ فإنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم»^(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الحث على تعاهد القرآن واستذكاره.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله - بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في ذلك -: (ومضمون هذه الأحاديث: الترغيب في إكثار تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير، نسأل الله العافية منه)^(٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (استذكار القرآن وتعاهده) (٧٩ / ٩)، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده (٧٥ / ٦ - ٧٧).
 (٢) فضائل القرآن لابن كثير (ص ١٣٥).

حفظهم رسول الله ﷺ

لقد كان للصحابة الكرام دور كبير في حفظ آيات كتاب الله عز وجل، وقد زكى الرسول ﷺ بعضهم فقال: «خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب» أي تعلموا منهم.

ومن حفظ القرآن من الصحابة كثر لا حصر لهم، ومما يدل على كثرتهم أن من قتل منهم يوم اليمامة سبعون كما قال القرطبي وغيره، كما قتل عدد كبير من القراء في بئر معونة في حياته ﷺ.

قال صاحب مناهل العرفان: كان حفاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ جما غفيراً منهم الأربعة الخلفاء وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء كلهم من المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين.

وحفظ القرآن من الأنصار في حياته ﷺ أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء ومجمع بن حارثة

وأنس بن مالك وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال: إنه أحد عمومتي عليه السلام.. وقيل: إن بعض هؤلاء أكمل حفظه للقرآن بعد وفاة النبي عليه السلام.

والذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين منهم زيد بن ثابت الذي انتهت إليه الرياسة في القراءة وعاش بعدهم زمناً طويلاً، وإليه عهد أبو بكر ثم عثمان بجمع القرآن في المصاحف. وفي الصحيح أن الذين قتلوا في غزوة بدر معونة من الصحابة كان يقال لهم: القراء، وكانوا سبعين رجلاً. ولم يكن الحفظ محصوراً بالرجال فقط، فقد ورد أن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الصحابية جمعت القرآن وكان رسول الله عليه السلام يزورها ويسميها: الشهيذة، وكان قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن.

والمشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت،

وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري .
وعنهم أخذ جمع من الصحابة ، وعنهم وعن غيرهم أخذ
التابعون في الأمصار والحواضر .

وهكذا كان الإقراء المتين من الصحابة العدول إلى التابعين

وتابعيهم ..

جهود عظيمة.. لحفظ آيات كريمة

وبما أن القرآن الكريم له كل هذه الفضائل والشوائل، وبما أنه مصدر عز وكرامة للمسلمين وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لذا فقد أولوه اهتمامهم البالغ وعنايتهم الفائقة، وأنزلوه المنزلة اللائقة به، فإنه لم يحظ أي كتاب غيره من الكتب السماوية الأخرى والأرضية مثل ما حظي به القرآن الكريم من العناية الشديدة والاهتمام البالغ؛ فقد وجه المسلمون كل جهودهم، وبذلوا كل ما في وسعهم في حفظ القرآن والحفاظ عليه كما أنزله الله تعالى على رسوله الأمين الذي عرف بأمانته حتى قبل بعثته عليه أفضل الصلاة والسلام، وشهد به عدوه قبل مواليه، إلى أن وصل إلينا القرآن سالمًا محفوظًا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيبقى القرآن الكريم موضع اهتمام المسلمين وعنايتهم دائمًا وأبدًا.

ويتجلى مدى عناية المسلمين بالقرآن الكريم وجهودهم في المحافظة عليه في الخطوات التي اتبعوها تجاه القرآن الكريم، بدءاً برسول الله ﷺ نفسه، ثم أصحابه الكرام رضي الله عنهم، فمن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا، فالنبي ﷺ الذي هو أمين الأرض لقد بلغ من عنايته بالقرآن وحرصه على حفظه وعلى سلامته وشدة اهتمامه به أنه كان يتابع جبريل عليه السلام عند إلقاء الوحي إليه، ويقرأ معه قبل أن ينتهي جبريل عليه السلام من إلقاء الوحي إليه، وكان ﷺ يفعل ذلك حرصاً منه على حفظ ما يأتي به جبريل من القرآن أولاً بأول لئلا ينساه وينفلت منه بسبب نسيانه، فكان يعالج نزول القرآن أشد المعالجة، إلى أن طمأنه الله تعالى وضمن بقاء القران محفوظاً، وتكفل بجمعه في صدره وبيانه، وأنه لا ينسى منه شيئاً إلا ما أراد الله نسيانه فلا شيء عليه في ذلك.

قال تعالى: ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾

فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لَهُ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

هكذا كان حرصه ﷺ على القرآن واهتمامه به فجمع الله القرآن في صدر رسوله الكريم ﷺ ، وأراحه من العناء الذي كان يجده في نفسه من خوف نسيان القرآن وانفلات بعض أجزائه.

وكذلك كان جبريل عليه السلام يعارضه القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان، وفي السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ عارضه فيها مرتين، إيداناً بقرب أجله ﷺ ، وتأكيذاً لحفظ القرآن الكريم في صدره الشريف، وبقاء ما لم ينسخ منه من المنسوخ، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، منها: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسخ يعرض عليه رسول الله

القرآن ﷺ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه»^(٢).

وكذلك يدل على عناية النبي ﷺ بالقرآن اتخاذه كتاباً، كانوا يعرفون بـ (كتاب الوحي) وهم كثيرون، فكان رضي الله عنه إذا نزلت عليه آية أو سورة من القرآن أمر من حضر- من هؤلاء الكتاب بكتابتها مع إرشاده إياهم إلى موضع الآية من سورتها، فكانوا يكتبون كل ذلك فيما يتيسر- لديهم من أدوات الكتابة؛

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ) (٩ / ٤٣)، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب (جوده ﷺ) (١٥ / ٦٨، ٦٩).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ) (٩ / ٤٣).

كالرقاع، واللخاف، والأكتاف، والعسب، وما أشبه ذلك من أدوات الكتابة التي كانت متيسرة عندهم في زمانهم ذلك^(١).

ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مجموع، وإن كان متفرقاً في الرقاع والعسب وغيرها، كما كان ﷺ يحرص على إقراء الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم وتحفيظهم إياه، مع بيان معانيه لهم وأحكامه، فكثير منهم حفاظ القرآن الكريم، إما كله وإما أجزاء منه، كل بحسب ما تيسر له منه، فضمن الحفاظ على القرآن بالحفظ في الصدور، بالكتابة في السطور، هذا قليل من كثير من عناية النبي ﷺ بالقرآن الكريم وبسلامته، الذي كان خلقه القرآن.

وأما عناية الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم فهي استمرار لما بدأه رسول الله ﷺ، فإنه ﷺ مهّد لهم الطريق ورباهم على ذلك.

(١) انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٩ / ٢٢).

ويتمثل ذلك في عدة أمور، منها:

حرصهم الشديد على تلقي القرآن مشافهة من رسول الله ﷺ لفظاً ومعنى، واجتهادهم في حفظ ما يتلقون من رسول الله ﷺ من الآيات والعمل بأحكامها، فتعلموا القرآن من رسول الله ﷺ لفظاً ومعنى وعملاً كما جاءت الأحاديث الكثيرة التي تحدثت عن حرص الصحابة على حفظ القرآن الكريم، فلا يوجد جزء من القرآن الكريم إلا وهو محفوظ في صدور الصحابة رضي الله عنهم حتى إن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود كان يقول: والله ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم معناها، وأين نزلت، ولم نزلت، وفيمن نزلت..

ولشدة حرصهم على القرآن الكريم فإنهم لم يكتفوا بحفظهم للقرآن في صدورهم فحسب، بل أضافوا إلى ذلك الكتابة في السطور؛ حيث كان بعضهم يكتب القرآن في أدوات الكتابة المتيسرة لديه من الرقاع واللحاف والأكتاف وغيرها، كل

ذلك مبالغة في المحافظة على بقاء القرآن سالماً كاملاً كما أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ.

ولما خافوا عليه ضياع بعض أجزائه بسبب موت حفاظه وذلك في معركة اليمامة مع مسيلة الكذاب في عهد أبي بكر الصديق ﷺ؛ قاموا بجمعه، حيث أشار إليه بذلك عمر بن الخطاب ﷺ، كما هو واضح من حديث زيد بن ثابت ﷺ في جمع القرآن على عهد أبي بكر ﷺ عند البخاري (١).

وكذلك ما قاموا به في عهد عثمان ﷺ من جمع الناس على مصحف واحد لما خافوا الفتنة التي كادت أن تحدث بين المسلمين بسبب اختلافهم في وجوه القراءات، كما ورد بذلك حديث حذيفة بن اليمان ﷺ حيث قال لعثمان بن عفان ﷺ: (يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب (جمع) القرآن (٩/١٠، ١١).

الكتاب اختلاف اليهود والنصارى...^(١).

كل هذا يؤكد لنا أنهم كانوا يسهرون على القرآن الكريم وعلى حمايته من أي شيء يكدر صفوه وينقص من قدره، فما يكاد يقرب منه شيء إلا ويتنبهوا لذلك قبل وقوعه، فيبعدونه عنه. كما كانوا رضوان الله عليهم حريصين على إقراء الناس القرآن الكريم من التابعين وغيرهم ممن لم يتمكنوا من تلقيه من رسول الله ﷺ، فعقدوا مجالس كثيرة لتدريس القرآن ومدارسته كما تلقوه من رسول الله ﷺ، فأخذ عنهم التابعون الذين كانوا أيضاً مغرمين بالتفقه في الدين وتعلم أحكامه، وحريصين على قراءة القرآن وحفظه وفهم معانيه حتى تخرج على أيديهم أئمة جهابذة في العلم بالقرآن لفظاً ومعنى وعملاً، تولوا فيما بعد إقراء من جاء بعدهم القرآن الكريم ومدارسته. هكذا أخذ المسلمون القرآن جيلاً عن جيل مشافهة ولم

(١) المرجع السابق (٩ / ١١)، وانظر: فضائل القرآن لابن كثير (ص ٣٣).

يعتمدوا على المكتوب في المصاحف فقط، وإنما كان الاعتماد في قراءة القرآن على تلقيه مشافهة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهكذا كانوا شديدي الحرص على قراءة القرآن وحفظه في صدورهم، فكثر حفاظ القرآن من المسلمين في كل جيل وفي كل بلد من مشارق الأرض ومغاربها، لا توجد بقعة معمورة على وجه الأرض فيها مسلمون إلا وفيهم حفاظ القرآن الكريم، إما كاملاً وإما أجزاء منه.

هذا مما يتعلق بحفظ القرآن في الصدور الذي هو المعتمد عند المسلمين في المحافظة على القرآن الكريم.

وأما ما يتعلق بكتابة القرآن في السطور، فإن الذين جاءوا من بعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم الذين أخذوا القرآن عنهم، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين فإنهم أيضاً لم يهملوا هذا الجانب المهم في المحافظة على سلامة القرآن الكريم،

ولم يغفلوه، بل نشطوا في ذلك نشاطاً فاق كل الوصف، لاسيما فيما يعرف بعصر التدوين.

وقد أصبحت الكتابة ميسرة وفي متناول كل أحد يرغب في الكتابة لتوفر أدوات الكتابة وتنوعها، فالتجها إلى القرآن الكريم بكل عناية، فدونوا في جميع مجالاته مؤلفات كثيرة لم يشهد لها مثيل في تاريخ البشرية.

ومن أبرز معالم الاهتمام بالقرآن في عصرنا إنشاء المراكز العلمية التي تعلم القرآن في كل أرجاء المعمورة، وكذلك دعم طباعة المصحف الشريف، وإقامة المسابقات وبذل الجوائز القيمة لمن يحفظه ويتفوق في ذلك...

بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة ساعدت المسلمين على المحافظة على القرآن الكريم؛ كالتعبد بقراءته، والأمر بقراءته في جميع الصلوات فرضاً كانت أو نفلاً، وكذلك ما تميز به عن سائر كلام الخلق من البلاغة والفصاحة في معانيه وألفاظه، وفي أسلوبه وحلاوته التي لا ينقضي القارئ من إعجابه بها ولا يسأم

من تكرارها كما يحصل لأي كلام آخر، وفوق ذلك كله: وعد الله تعالى بحفظ كتابه العزيز، وتكفله بسلامته وضمأن بقائه وتيسيره على الناس حفظه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الحجر: ٩]،

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

وكل هذه الجهود تعكس مدى عناية المسلمين بالقرآن الكريم والمحافظة على سلامته من أي تحريف أو ضياع، فقد بذلوا كل ما في وسعهم في ضمأن بقائه كما أنزله الله تعالى بكل حرص واهتمام بالغ، كيف لا! والقرآن الكريم مصدر عزهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة، لأنه المصدر الأول لتشريع أحكام دينهم، والمنظم لأمر دنياهم من علاقة بعضهم ببعض، وهو كذلك شفاء لما في الصدور..

وكل هذه الجهود إنما جاءت تحقيقاً لوعد الله ﷻ بحفظه،

ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أصدق من الله قياً.

قرآن محفوظ.. لا تحريف فيه..

أخي الكريم! والله إن المسلم ليصيبه العجب كل العجب من أقوام اعتقدوا في القرآن خلاف ما قاله الله، وعكس ما قرره رسول الله ﷺ؛ فزعموا أنه قد وقع فيه التحريف والخلل، وحلّ فيه النقص والزلل.. ويعجب ويذهل عندما يصرح بذلك علماؤهم ويقوله سادتهم وكبرائهم!!

قال الفيض الكاشاني في مقدمة تفسيره معللاً تسمية كتابه بهذا الاسم: (وبالحري أن يسمى هذا التفسير بالصافي لصفائه عن كدورات آراء العامة والممل والمحير)^(١).

وقد مهد لكتابه هذا باثنتي عشرة مقدمة، خصص المقدمة السادسة لإثبات تحريف القرآن، وعنون لهذه المقدمة بقوله: (المقدمة السادسة: في نبذ مما جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك)^(٢).

(١) تفسير الصافي - منشورات مكتبة الصدر - طهران - إيران (١/١٣).

(٢) المصدر السابق (ص: ٤٠).

وبعد أن ذكر الروايات التي استدلت بها على تحريف القرآن، والتي نقلها من أوثق المصادر المعتمدة عندهم، خرج بالنتيجة التالية؛ فقال: (والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتماهه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة، منها: اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع، ومنها: لفظة: آل محمد صلى الله عليه وآله غير مرة، ومنها: أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

وبوّب العلامة المجلسي في كتابه: بحار الأنوار باباً بعنوان: (باب: التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله) ^(٢). وغيرها من الأقوال التي كانت متفرقة في كتبهم، إلى أن قام

(١) تفسير الصافي (٤٩/١) منشورات الأعلمي - بيروت، ومنشورات الصدر - طهران.
(٢) بحار الأنوار (٦٦/٨٩) كتاب القرآن.

النوري الطبرسي^(١) بتأليف كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، وقد ساق في هذا الكتاب حشداً هائلاً من الروايات لإثبات دعواه في القرآن الحالي أنه وقع فيه التحريف.

وقال بهذا القول الشنيع عدد كبير من علمائهم منهم: علي بن إبراهيم القمي^(٢) ونعمة الله الجزائري^(٣) والمفيد^(٤) ويوسف البحراني^(٥) وعدنان البحراني^(٦) والكليني .. وغيرهم من

(١) أحد علمائهم الكبار (المتوفى ١٣٢٠هـ)

(٢) في مقدمة تفسيره عن القرآن (ج ١/ ٣٦ ط دار السرور - بيروت).

(٣) في كتابه الأنوار النعمانية (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٤) نقل إجماعهم على التحريف ومخالفتهم لسائر الفرق الإسلامية في هذه العقيدة. (أوائل المقالات ص ٤٨ - ٤٩ دار الكتاب الإسلامي - بيروت).

(٥) كتاب الدرر النجفية - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث (ص ٢٩٨).

(٦) مشارق الشموس الدرية منشورات المكتبة العدنانية - البحرين (ص ١٢٦).

رؤوس العلماء عندهم ومن أفضلهم وأجلهم... وغيرهم كذلك الكثير من العلماء المعاصرين أمثال الخميني^(١) والخوئي^(٢) وعباس القمي^(٣).

والظاهر أن هؤلاء حينما لم يجدوا في كتاب الله عز وجل ما يدعو وما يقرر كثيراً من معتقداتهم لجئوا إلى القول بتحريفه. وقد ذكر العلماء رداً مفصلاً لما قالوه، وجواباً كافياً.

(١) في كتابه القرآن باب معرفة الله - دار المحجة البيضاء (ص ٥٠).

(٢) في كتابه البيان في تفسير القرآن (ص: ٢٢٦).

(٣) لمزيد من أسماء العلماء الذي قالوا بالتحريف انظر كتاب القرآن والتحريف، لمحمد السيف.

وأخيراً ..

واعجبا لمن اعتقد هذا الاعتقاد وأيقن بهذه الروايات!! ويا
 حسرتاه على من قال بهذا القول!!

أليس الله هو أصدق القائلين، فكيف يتوعد بحفظه ثم نجد
 اليوم قرآناً بين أظهرنا غير القرآن الذي أنزله الله على محمد بن
 عبد الله؟

أليس في هذا تكذيب لله ﷻ، ونقض لأصل من أصول
 الدين وهو القرآن الكريم؟

ولماذا يتحاكم هؤلاء إلى القرآن ما دام ناقصاً ومحرّفاً؟ وأين
 هو القرآن الصحيح الذي يعتقدون وجوده؟

أخي الكريم!

هل يُعقل هذا وهل يُصدّق؟

قالوا بأن القرآن الصحيح كان مع الإمام علي ولكنه أخفاه،
 فلماذا لم يظهره وهو من أحرص الناس على الأمة؟ وإذا كان أحد

يمنعه فلماذا لم يظهره حين كان أميراً للمؤمنين؟

هل يُعقل أن الإمام علي بن أبي طالب وهو من أكثر الخلق خوفاً على الأمة، هل يعقل أن يخفي عنها الكتاب الصحيح فتظل تتعبد الله وتتقرب إليه وتتحاكم إلى كتاب محرف باطل؟

إن القول بتحريف القرآن جرأً كثيراً من أعداء الإسلام على التعدي والقول في الإسلام وفي القرآن قولاً لا يرضاه أحد من المسلمين، وذلك من خلال استدلالاتهم بالأقوال التي تنص على القول بتحريف كتاب الله والاستشهاد بأرائهم.

أخي يا صاحب العقل المستنير!

كم هو رائع ذلك الرجل الذي أعمل فكره بنفسه، ولم يعط عقله لغيره، بل تأمل بنفسه وتدبر بذاته، واتبع ما تبين له الصواب فيه، وأرجو أن تكون منهم أيها القارئ المبدع! أيها الباحث عن الحق.



فهرس المحتويات

٣	مقدمة.....
٦	القرآن.. فضائل وشمائل.....
١٢	هنيئاً لك.. قارئ القرآن.....
١٢	أترجة.. تمرة.. ريحانة.....
١٣	خيرية.. ليست إلا لأهل القرآن.....
١٣	لا حسد.. إلا في القرآن.....
١٤	سكينة.. رحمة.. ذكر في الملاء الأعلى.....
١٥	حفظ.. لا نسيان يطرأ.....
١٧	حفظهم رسول الله ﷺ.....
٢٠	جهود عظيمة.. لحفظ آيات كريمة.....
٣١	قرآن محفوظ.. لا تحريف فيه.....
٣٥	وأخيراً.....
٣٧	فهرس المحتويات.....